هذا ابتداء غرض من أغراض معاملة المشركين وهو منع المشركين من دخول المسجد الحرام في العام القابل وهو مرتبط بما تضمنته البراءة في قوله (براءة من ا ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) ولما اتصل بتلك الآية من بيان النبي A الذي أرسل به مع أبي بكر الصديق : أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان . وهو توطئة لقوله (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا .

وتركيب (ما كان لهم أن يفعلوا) يدل على أنهم بعداء من ذلك كما تقدم عند قوله تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه ا الكتاب والحكم والنبوة) في سورة آل عمران أي ليسوا بأهل لأن يعمروا مساجد ا بما تعمر به من العبادات .

و (مساجد ا) مواضع عبادته بالسجود والركوع : المراد المسجد الحرام وما يتبعه من المسعى وعرفة والمشعر الحرام والجمرات والمنحر من منى .

وعمر المساجد : العبادة فيها لأنها إنما وضعت للعبادة فعمرها بمن يحل فيها من المتعبدين ومن ذلك اشتقت العمرة والمعنى : ما يحق للمشركين أن يعبدوا ا في مساجد ا . وإناطة هذا النفي بهم بوصف كونهم مشركين : إيماء إلى أن الشرك موجب لحرمانهم من عمارة مساجد ا .

أن من براءتهم لسبب مبينا (بالكفر أنفسهم على شاهدين) قوله في الحال جاء وقد A E يعمروا مساجد ا وهو حال من ضمير (يعمروا) فبين عامل الضمير وهو (يعمروا) الداخل في حكم الانتفاء أي : انتفى تأهلهم لأن يعمروا مساجد ا بحال شهادتهم على أنفسهم بالكفر فكان لهذه الحال مزيد اختصاص بهذا الحرمان الخاص من عمارة مساجد ا وهو الحرمان الذي لا استحقاق بعده .

والمراد بالكفر : الكفر با أي بوحدانيته فالكفر مرادف للشرك فالكفر في حد ذاته موجب للحرمان من عمارة أصحابه مساجد ا لأنها مساجد ا فلا حق لغير ا فيها ثم هي قد أقيمت لعبادة ا لا لغيره وأقام إبراهيم عليه السلام أول مسجد وهو الكعبة عنوانا على التوحيد وإعلانا به كما تقدم في قوله تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا) في سورة آل عمران فهذه أول درجة من الحرمان . ثم كون كفرهم حاصلا باعترافهم به موجب لانتفاء أقل حظ من هذه العمارة وللبراءة من استحقاقها وهذه درجة ثانية من الحرمان .

وشهادتهم على أنفسهم بالكفر حاصلة في كثير من أقوالهم وأعمالهم بحيث لا يستطيعون إنكار ذلك مثل قولهم في التلبية " لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك " ومثل

سجودهم للأصنام وطوافهم بها ووضعهم إياها في جوف الكعبة وحولها وعلى سطحها .

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب : بإفراد (مسجد ا) أي المسجد الحرام وهو المقصود أو للتعريف بالإضافة للجنس . وقرأ الباقون : مساجد ا فيعم المسجد الحرام وما عددناه معه آنفا .

وجملة (أولئك حبطت أعمالهم) ابتداء ذم لهم وجيء باسم الإشارة لأنهم قد تميزوا بوصف الشهادة على أنفسهم بالكفر كما في قوله (أولئك على هدى من ربهم) بعد قوله (هدى للمتقين) الآية .

و (حبطت) بطلت وقد تقدم في قوله تعالى (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) في سورة البقرة .

وتقديم (في النار) على (خالدون) للرعاية على الفاصلة ويحصل منه تعجيل المساءة للكفار إذا سمعوه .

(إنما يعمر مساجد ا من آمن با واليوم الأخر وأقام الصلواة وآتى الزكاة ولم يخش إلا ا فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) موقع جملة (إنما يعمر مساجد ا) الاستئناف البياني لأن جملة (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد ا) لما اقتضت إقصاء المشركين عن العبادة في المساجد كانت بحيث تثير سؤالا في نفوس السامعين أن يتطلبوا من هم الأحقاء بأن يعمروا المساجد فكانت هذه الجملة مفيدة جواب هذا السائل